الجَسد في القصيدة النّسوية الجزائرية المُعاصرة
- قراءة في نماذج مختارة -

The body in the contemporary Algerian feminist poem
- Read on selected models -

ط د- الحبيب عبيدات[1,*]

[1]جامعة أم البواقي،(الجزائر)، abidatelhabib@gmail.com

مخبر تعليميةا للغة العربية والنّص الأدبي

في النظام التعليمي الجزائري: الواقعوالمأمول،

تاريخ الإيداع: 2021/08/10 **تاريخ المراجعة**:2021/10/12 **تاريخ النشر**: 2021/12/30

ملخص:

نسعى من خلال هذا المقال، إلى إبراز تمظهر الجسد الأنثوي في القصيدة النّسوية الجزائرية المعاصرة، كونه من أكثر المواضيع إلحاحا في الشّعر المعاصر، نظرا للتغيرات، التي عرفتها المنظومة الفكرية الجديدة، والتي أثرت بدورها على المجتمع؛ ليصبح الجسد مرحلة مهمّة في تجربة الذات النسويّةمع نفسها والآخر، لما يشتمل عليه من معان، ودلالات على صعيد النتاج الشّعري، سعتْ إليه؛ لتخترق المجهول وتتصدى للممنوع، وتخرج به إلى فضاء شعري جمالي أكثر اتساعا.وعليه فقد كان الهدف من هذه الدراسة، الكشف في ثنايا النّص الشّعري النّسوي الجزائري، عن حضور الجسد، وذلك من خلال استقراء نماذج مختارة.

الكلمات المفتاحية: تمظهر؛ الجسد؛ القصيدة النّسوية؛ الذات؛التجربة.

Abstract:

Through this article, we seek to highlight the manifestation of the female body in the contemporary Algerian feminist poem, as it is one of the most pressing topics in contemporary poetry, given the changes that have occurred in the new intellectual system, which in turn affected society; The body becomes an important stage in the experience of the feminine self with itself and the other, for what it contains of meanings and connotations on the level of poetic production, which it sought; To penetrate the unknown and confront the forbidden, and bring it out into a more spacious aesthetic poetic space. Accordingly, the aim of this study was to reveal, in the Algerian feminist poetic text, the presence of the body, by extrapolating selected models.

***Key words**: appearance; the body; feminist poem; Self; Experience..*

* المؤلف المرسل.

تقديم:

احتل الجسد موقعا متميزا، وأصبح ذا اعتبار في الكتابة الأنثوية، ذلك بعد أنْ قرّرت الذات الأنثوية التمرد على ما هو سائد، وإثبات كيانها، وتأكيد خصوصيتها، متجاوزة سلطة القهر والاستعباد، التي وُضِعت فيها عبر الزمن، فكانت الكتابة وسيلة تستعملها سلاحا فعالا في قول كلمتها وإبداء رأيها، فكتبت في فترة عصيبة موظفة الجسد،ودالة بذلك على التحرّر بكل أشكاله.

ومن هذا المنطلق، يدفع موضوع الجسد الذات الشاعرة للسّير قُدما نحو الإبداع؛ لإيصال صوتها المقموع، ويطمس معالمها المهمشة، ويبني هويتها، هنا دخل الجسد عالم الأدب وحُظي بحضور مميز ضمن المتون الشعرية وبخاصة النّسويةمنها، وشغل موقعا مهما رغم اندراجه ضمن ثقافة المحظور -الطّابوهات- التي لا يمكن اختراقها، وتَصديها تبعا للأعراف المجتمعية، هذا ما جعل الجسد يمثل أحد المكونات الأساسية للذات الأنثوية، الذي تكسب من خلاله هويتها.

لقد وعت الأنثى قيمة الجسد فراحت تستدعيه، وتوظّفه في نصوصها الشّعرية؛ لتتصدى لصراع الذّات الأنثوية مع ذات أخرى، فالنّص الذي تكتبهو نص يعبّر عن كيانها، فهي حين تمارس فعل الكتابة لا تستطيع أنْ تتحرّر من تأثيره؛ كونه الكاشف عن الدواخل الإنسانية، والاجتماعية، والثقافية للمرأة، التي أثّرت في هذا الخطاب، إنّه الميدان الأرحب للتّعبير عن خصوصياتها الأنثوية.

وتأسيسا على ما تقدّم تتحدد التساؤلات الآتية:

- كيف تمظهر الجسد في النّص الشّعري النّسوي الجزائري؟،ما هي المضامين التي شغلت بها الشاعرات جسدهن الأنثوي ؟

أولا. الإطار المفهومي للجسد:

1. الدلالة الاصطلاحية للجسد:

يعدُّ الجسد مُكونا أساسيا من مكونات الكينونة والهوية الإنسانية،"إنّه المبدأ المنظم للفعل، وهو الهوية، التي نُعرَف ونُدرَك بها ونُصنّف، وهو أيضا الواجهة، التي تخون نوايانالأكثرسرا"[1]،فالشعور بالهوية " هو شعور بالامتداد داخل جسم ذاتي، لا نضمر له عداء، ونعتبره اجنبيا عن هويتنا " [2].

كما يمثّل - الجسد - " كل شيء له، وهو مكمّل للوجود الذاتي للفرد، بدون الجسد ينتفي الوجود المادي الخاص بالحياة، وهو محرك ودافع قوي لتسيير أمور ذلك الفرد، ودون هذه الحركة والقوة، يفشل الفرد في مسايرة الحياة، ويصبح معاقا في جسده، الذي يمثل بالنسبة له بمثابة الوسيط الفعّال جدا لإدراك الحياة والعيش فيها" [3].

ويقابل هذا الأخير لدى "ريكور" مفهوم (chair)، ولدى "ريشر" مفهوم (leib)، إنّه الجسد الشخصي، الذي يشكل الوحدة الانطولوجية، التي تسِم وجود الكائن في العالم، ومن ثمة فهو يشكل هدفية الوجود الذاتي للإنسان، هذا الطابع لا يخلو من علاقات ذات ميسم ثقافي ورمزي وتعبيري، يعيد بها الجسد صياغة العالم ومنحه خصوصيات جديدة "[4]،ليتم بذلك " تصنيف الجسد من خلال علاقته بالمحيط بين الجسد الوظيفي أو اليومي، والجسد الموضوعي " [5].

والجسم كما يشير له جميل صليبيا "هو الجوهر الممتد القابل للأبعاد الثلاثة، الطول والعرض والعمق وهو ذو شكل ووضع وله مكان، إذا شغله منع غيره من الدخول معه، والمعاني المقومة للجسم هي الامتداد وعدم التداخل والكتلة، فالجسم الحي هو المتصف بالحياة كالنبات، والحيوان والعاقل، وقد ميّز الفلاسفة، وعلماء النفس الجسم أي (الجسد) البشري من حيث هو جسم ذاتي، يشعر به صاحبه شعورا باطنيا مباشرا" [6]؛ بمعنى أنّ الجسم يدلّ على قبول الأبعاد؛ أيْ ما يمكن فرض الأبعاد فيه، وأنّهذو شكل، ووضع يحتل حيزا في المكان، لا يخرج عن مؤثرات الحياة.

مجمل القول: إنّ مفاهيم الجسد واسعة وملتبسة، تنوعت وتعددت بتعدد الثقافات الإنسانية؛ " لأنّه موطن الروح والنفس والعقل والحواس فقط؛ أي موطن كل ما يمكّن من الحياة، ولكن أيضا لأنّه مخْزن كل العناصر الغريبة والعجيبة التي تتبلور في عدة صور من المجتمع، إنّ هذا الالتباس هو ما يجعل الجسد مفهوما أصيلا، ومرجعيا لكل ما يؤسس الحياة والموت" [7]، وهذا الالتباس، والغموض حول مفهوم الجسد ما هو " إلا نتيجة للغموض، الذي يحيط بتجسُّد الإنسان: إنه نتيجة لكونه جسداً، ولملكيته لجسد" [8].

ثانيا: تمظهر الجسد في القصيدة النّسوية الجزائرية المعاصرة:

يعدّ الجسد من أهم المواضيع التي انعكست تمظهراتها الحداثية في القصيدة النّسوية المعاصرة؛ لِما يقدّمه من معانٍ ودلالات رمزية على صعيد الإنتاج الأدبي، وهذا يدل على وعي المرأة بالتغيرات الثقافية والاجتماعية، لذا سارعت إلى تحطيم طابو الجسد من أجل فرض ذاتها ووجودها داخل النّسق الذكوري وإحداث تغْيير وفاعلية في المجتمع، بالرغم من اندراج تيمة الجسد ضمن المحظور/ المسكوت عنه.

يبدو حضور الجسد في الكتابة النسوية حضورًا مهيمنًا، ربّما " كان لهذا الحضور [...] مبرراته وضروراته الشعورية الملحة على الذاتالنّسوية؛ كي تقترب من حمى الجسد بأدواتها، ووعيها الخاص كي لا يبقى ذلك حكرا على الذات الكاتبة الرجالية، فتصيرحينها الكتابة النسائية، محاولة بديلة لصنع ذات أكثر تماسكا، أكثر مواجهة للعالم، أكثر قدرة على الحضور الدائم، فيمقابل الذات الإنسانية المعايشة لضعفها الإنساني والاجتماعي" [9].

1. الجسد وخطاب الذات:

وجدت الذات الأنثوية من خلال كتابة الجسد رقعةًشاسعة لتحقيق إرادتها، وحريتها،ذلك أنّ " الجسد كان - ومازال- مادة نشطة للنّشاط الثقافي، في بعده الخيالي، وفي بعده اللّغوي" [10]،وهنا يبدأ مستوى الوعي الإدراكي، المكوّن لموضع الرؤية في القصيدة النّسوية منالجسد كينونة،"وتبدأ أسئلة الكتابة، من خلال أسئلة الجسد، الذي يشخّص أكثرالأفعال المصاغة ذاتيا، والمشّبعة بأحاسيس الجسد التي تمثّل موقف السّاردة أوموقف مؤلفة النّص، فالمرأة المبدعة تُصغي إلى جسدها، ومن خلال جسدهاتبحر في عوالم الذات" [11]،وإحساسها بجسدها موضوعا إنّما يحفّز ذاتها نحو الإبداع؛" لتتكور حول الأنا صوتا لا يناله التهميش، وكيانا متعاليا ومنتشيا، لا يعرف للصمت شكلا، ولا للكبت طريقا" [12]، لكي تتشكّل هويتها بأبعادها علوا واعتزازا، تقول الشاعرة "مسعودة لعريط"[13]:

فِي لَحْظَةٍ مِنْ زِحَامِ الْحَنِينِ
اِحْتَضَنَتْ جَسَدِي
إِلَى جَسَدِي
اِحْتَضَنَتْ أَلَمِي
وَنَمُتْ تَحْتَ الدفقِ
وَالدِّفْءِ وَالنِّسْيَانِ
غَفْوَةَ الرَّوْحِ
فِي الرَّوْحِ....
صَحْوَةُ الْجَسَدِ قَالَ :أَدَخْلِي فِي مِعْطَفِي
قُلتُ :أَدَخْلِي فِي جُبَّتِي قَالَ :أَدَخْلِي فِي رَحْمَتِي
قلتُ :أَدَخْلِي فِي جَنَّتِي
وَانْغَلَقَتِ السَّمَاءُ بَعْدَنَا
وَانْخَطَفَ الْجَسَد"[14].

يتجلى في هذا المقطع الشّعري ،حضور الجسد /الذات، من خلال ملازمة الأفعال للضمير: (احتضنتُ ... نمتُ.. قلتُ ...)، التي تعطي انطباعا بوعي الذات بنفسها، وبوعيها بالآخر/ الجسد، الذي تتحرك في سياقه الذات الشاعرة.

كما يشير - المقطع الشّعري - إلى التقابل القائم بين ثنائية الجسد/ الذات،الذي من خلاله تسعى الشاعرة إلى تحقيق الوجود الفعلي لهذه الثنائية، ويمكّنها من تَحقيق حُريتها، "إنها تعترض عصر تلك النّظرة (التابو) للجسد، التي تعمل على إلغائه وتحقيره من خلال تهميشه، لدرجة تغدو مسكونة بقلق السؤال والرغبة في تكليم الجسد والانصات إليه، والبحث عن جديد له، إعلانا عن ميلاد آخر يحرره من نمطية الرؤية"[15]

لقد احتضنت الذّات الشاعرة جسدهاالمتألم، ونامت تحت النسيان، وفي غفوة الرّوح تظهر صحوة الجسد للوجود، مشكلا حوارا دراميا مع الذات الشّاعرة، "فيكوُن الحوار وفقًا لذلك مناجاة فردية، تقود النّفس، إذ يبني الشخص عوالم ذاتية، يخترعلها شخوصاً من داخلها، يُقيم علاقة معها، يحاورها، ويكشف من خلالها طبيعة النفس وتموجاتها واضطراباتها وتوجسها منالواقع واختلافها واتفاقها معه"[16]، فيفارق الجسد الذات نحو السماء، ذلك الفراغ اللانهائي في الكون.

وفي صياغة شعرية أخرى، تكشفُ "حليمة قطاي"[17]بتمثيلها الجسدي عن الترابط الشديد، والتّداخل الشائك بين الروح، والجسد، فلا ينفكّ أحدهما على الثاني, تقول:

مَنْ مِنَّا سَيَفْصِلُنَا عَنَا...!

هَلْ مِنَّا مِنْهُمْ فِينَا

مَنْ يُفَصِّلُ جَسَدَيْنِ بِنَا

تُطَوِّقُتا فِي رَوْحٍ

تَجْمُّعَنَا/

تَطْرَحُنَا/

تَخْزِلُنَا/

تضْرِبُنَا فِي كُلّ الْأَعْدَادِ الْمُطْلَقَةِ // اللّامحْسوبَة...

لَنْ تُقَدِرَ يَا خوارِزْمُ... لِأَنَّا

أَفَسدْنَا الْحَسَبَةَ مُذْ... كَنَّا

جَسَدًا // رَوْحًا...تَأْبَى الْقِسْمَةَ فِي اِثْنَينِ!" [18].

تقدم الشاعرة الجسد والروح عبر صيغٍ رياضية، تجلت في: (الجمع، الطرح، الاختزال، الضّرب، الأعداد المطلقة)؛ لتكشف عن نمط العلاقة، التي تجمع الجسد بالروح، والتي تأبى القِسمة على اثنين، تستحضر عالم الرياضيات "الخوارزمي"، وتبين عدم تمكّنه من فصلهما.

إنّ الكتابة بالجسد تكسب الذات، فرحة وحرية، فبتحريره، تتحرر الذات، وتنطلق نحو الوجود، باحثة عن السعادة والطمأنينة، والحب، ترغب في الخروج من وطأة السّجن، والقيود، تقول "مسعودة لعريط":

يَا أَيّتُها الرَّوْحُ الَّتِي تَمَلْمَلَتْ

فَوْقَ رُخَامِ الْجَسَدِ

يَا أَيّتُها الرَّوْح الَّتِي اِنْبَجَسَتْ

وَبَكَتْ

وَاِحْتَرَقَتْ
يَا أيّتُها الْعَاشِقَةُ
الْخَائِفَةُ
اِنْطَلِقِي إِلَى فِرْدَوْسِكِ
الْمُرَصَّعَ بِالْمَطَرِ
وَأَغْرِقِي فِي هَذَا الْأَبَدِ
وَتَشَرُّدِي...
فِي اللُّغَةِ
وَأَقِيمِي أَعْرَاسَ النَّدَى
وَأَغْرِقِي..."[19].

تنطلق الروح نحو الأعلى/ الفردوس المزيّن بالمطر، وتغْرق في الأبدية، إنّ الرّوح المتململة في الجسد، تسعى في محاولة؛ للخروج من أسرها وزنزانتها، فتتشرّد في اللّغة وتُقيم الأعراسَ، وتستمرُ في الغرق.

توظف الشاعرة مفردات دالة على الحركة، تسيطر عليها لغة الاغتراب (تململت، انبجست، بكت، احترقت، انطلقي، اغرقي، تشردي، أقيمي)،جاعلة الجسد/ الذات /الروح، تتفاعل مع نفسها، وتقرر الخروج من وحشة التفرد، والإحساس بالاغتراب.

2. الجسد الوطن:

يتخذ الجسد أنماطا وأشكالا، تكاد تتجاوز المألوف، ويعدّ الشعر النّسوي نموذجا لذلك، حيث يتماهى جسد الشاعرة، ويلتبس بالوطن، فتصبح جغرافية الجسد هي جغرافية الوطن، ويمكُن النّظر "إلى العلاقة بين الجسد والوطن من أكثر من زاوية، فالوطن هو ذلك الجسد المعنوي، والجسد هو ذلك الوطن المادي، الوطن هو الوجود الممتد، والجسد هو الوجود الضّيق، وتنعكس على الجسد كل معالم، وثقافة، وخصائص وملامح الوطن الكبير، فالإنسان يدرك الوطن من خلال ذاته، قبل أنْ يدخل في أيّ علاقات مع الآخرين، وقبل أنْ يتحمّل بالالتزامات أو يكتسب الحقوق، التي يخوله إياها انتماؤه إلى وطن بعينه" [20].

ويتجلى ذلك من خلال استحضار الشاعرة "نادية نواصر" للعشرية السوداء التي عاشتها الجزائر، إذ تصور أنواع وأساليب الألم والتعذيب الجسدي، الذي تعرضت له من طرف الجماعات الإرهابية، (إطلاق الرصاص، الحرق، السلخ، القلع، الذبح، النهش)، تأخذ هذه المفردات دلالة التعذيب الجسدي، التي اكتوت الشاعرة بناره، تقول:

إِنَّهُمْ يُطْلِقُونَ الرَّصَاصَ عَلَى الشَّاعِرَةِ
إِنَّهُمْ يُحْرِقُونَ...

شَعْرَهَا..
يُسَلخُونَ
جِلدَهَا..
يُقْلعُونَ أَظَافِرَهَا النَّاعِمَةِ
يَذْبَحُونَ..
قَلَبَهَا..
يَنْهشُونَ...
صَدْرَهَا...
يَغْرِسُونَ الرّمَاحَ
فِي الْوَرِيدِ الدَّقيقِ
إِنَّهُمْ يَرْكُضُونَ
بِحَوَافِرِهِمْ ... " [21]

تعبّر "نادية نواصر" عن اغتيال جسد الشاعرة/ الوطن على يد الجماعات الإرهابية، فهي ترى الوطن من خلال جسدها، الذي تعرض لأبشع صور التعذيب، لقد صوّرت كيف استباح المجرمون حرمة الجسد؛ لم يكتفوا بقتله بل نكلوا به، فاتّخذوا من الحرق، والسلخ، والذبح، والنهش، وغرس الرّماح؛ وسيلة لتحطيم هذا الجسد/ الوطن.

وفي قصيدة "عودة العربي بن مهيدي"، تكتب الشاعرة عن الجسد، الذي تعتبره الوطن، فهي جزء منه،وهو جزء منها، تقول:

قَامَ مِنْ مَثْوَاهِ الْأَخِيرِ...
أَزَاحَ مِنْ،
عَلَى خَارِطَةِ الْجَسَدِ،
مَا عَلَقُ،
مِنْ تُرَابِ الْقَبْرِ،
أَعَادَ جِلْدَةَ رَأْسِهِ، إِلَى مَوْضِعِهَا...
رَمَّمَ مَا شَوَه الْغَزَاة،
مِنْ جَسَدِهِ..
قَامَ مِنْ مَثْوَاهِ الْأَخِيرِ..
رَتَّبَ سَاعَاتَ الْوَقْتِ..
صُورَةُ الْوَطَنِ الْمَكْسُورِ " [22].

يمثل هذا المقطع الشّعري شاهدا واضحا على البنِاء المشْهدي، من خلال تقديمالشاعرةلاستعراض بانورامي تصويري، يؤثث المكان عندما تقول: " قام من مثواه الأخير، يزيح تراب القبر على خارطة جسده، أعاد جلدة رأسه، إلى موضعها، رمم ما شوه الغزاة"، وترسم مشهدا صامتا نابعا من المكان(المثوى الأخير/ القبر)، عبر صور ومشاهد رسمتها نادية نواصر بعناية، ورصدتهابدقة في عملية دمج للصّورة بالحركة، شكّلت مشهديّة درامية حيّة، تَنقل إلى المتلقي صور الجسد/ الوطن المكسور.

تقول في مقطع شعري آخر:

تَفقّدَ الْفَتَى:
أَوْرَاقَهُ،
تَارِيخَهُ،
نِضَالَ مَنْ قَدْ يَنْبِضُ،
الرَّغيفَ فِي أفْوَاهِهِمْ
وَغَنَّى((قَسمًا)
((جَزَائِر الأجْدادِ..))

وَغَادَرَ حَزِينًا
إِلَى الْمَثْوَى الْأَخِير
أَسْنَدَ ظُهْرَهُ إِلَى الْوَطَنِ،
الْمُشَوَّهَة جَمْجَمَتُهُ،
فِي سَاحَةِ الثُّوَّارِ " [23].

ترسم الشّاعرة صورا متتابعة، تنطق بها عبر الصورة، والحركة، والصّوت، يبثها ذلك التّمعن والمراقبة للأوراق، والتاريخ، والصوت، الذي تجلى في الغناء(قسمًا جزائر الأجْدادِ)،وهكذا تستمر القصيدة في تطورها ونموها؛ حيث ينتهي المشهد في جو حزين، ترْصد فيه الشّاعرة اللحظات الأخيرة، عبر لغة شعرية مكثفة، ولغة مشْهدية مبنية على حركة الفعل فيها: (تفقّد، غنى، غادر، أسند)، غادر الجسد/ الشّهيد حزينا إلى مقامه الأخير، جاعلا الوطن المشوه جمجمته، مُتّكأً في ساحة الثوار.

3. الجسد التمرد:

جسّدت كثير من الشاعرات الجزائريات تمردهن، عن طريق توظيف الجسد كدال على التمرد، حيث يعتبر بنية قائمة بذاتها، يحاول - الجسد- التحرر من جميع أنواع القيود، التي عاشها ولا يزال يعيشها، ذلك أن المرأة تحارب بجسدها؛ لإعلان حريتها، والبوح عن ما يراودها إزاء الهيمنة، التي لطالما كانت العقبة في إعلان صوتها، تقول "مسعودة لعريط":

كُنْتُ أَفَتَّشُ عَنْ جَسَدِي
وَكُنْتُ رَاحِلَةً فِي غُيُومِي
لِكَي أُكْتُب عَنْ قِصَّةً أُخْرَى لِلتَّشَرُّدِ
وَكَانَ وَجْهُكَ شِرَاعًا مُمَزّقًا فِي الثَّلْجِ وَالضَّبَابِ
وَكَانَ جَسَدُي قَارَبًا مُغْرِقًا فِي بَحْرِ مَيْتِ " [24].

تقدم الشّاعرة تعبيرا خاصا عن جسدها، نابعًا من نفسٍ طالها العذاب، ومزقها القهر، ترسم حال جسدها الغاضب الرافض للخضوع، تغدو حاضرة جسديا، غائبة ذاتيا بفعل السّيطرة، من خلال قولها: (أفتش عن جسدي، راحلة في غيومي، أكتب قصة للتشرد، وجهك شراعا ممزقا، جسدي قاربا مغرقا), تحاول الشّاعرة تعرية واقعها المتأزمالذي تتجرّعه؛ " لافتقارها القدرة على التغيير بسبب أعراف المجتمع،وأوشامه، هكذا تنبني رؤية الكاتبة (الأنثى)، تتجلى في تعرية كثير من القضايا تشتغل خلال صيرورة المجتمع باعتبارها مسكوتا عنها "[25].

وفي هذا السّياق تحاول "نادية نواصر"، إعادة الاعتبار للأنثى؛ بصفتها إنسانا له روح وجسد، تسعى إلى رسم طريقها بنفسها، وتعلن وجودها وتتمرد على الخوف، الذي ظلّ لصيقا بها لتُظهر أنوثتها، وتعلن استقلالها عن سلطة الرَّجُل/ الحبيب، تقول:

وَأَيَّهَا الْجَسَدُ الصَّاهِل
أَوَصَدْ مَسَاماتِكَ
وَلَيَبْقَ هَذَا التُّرَاثُ الْعَاطِفِيُّ
مَسْجُونًا بِقُلَّاعِي
وَإِنَّ ثَارَتْ شُعُوبُ الرَّوْحِ حِينَهَا
فَأَنْتَ زَعِيمُ ثَوْرَتِهَا
وَإِنَّ جَاعَ قَلْبُي يَوْمًا
فَأَنْتَ حَسَاؤُه وَخَبَزَهُ
وَأَنْتَ أَرْضُهُ الَّتِي تَقَاوَمِ بُورِ الرَّوْحِ "[26].

تذهب الشّاعرة بمخيلتها إلى جسد، متحرر من دون سلطة الرجل/ الحبيب، فتنادي الجسد وتطلب منه أنْ يوصد مسماته؛ ليبق حبها مسجونا بقلاعها، متحدية شعوب الروح بجسدها، الذي اعتبرته زعيم ثورتها وحساء قلبها وخبزه بل أرضه، التي تقاوم بور الروح، معلنة التحدي، ممارسة فعل وجودها وحاضرها، إنّها ثورة الجسد / الشاعرة، على الآخر/ الحبيب.

وتعلو نبرة الاحتجاج والتّمرد، مبرزة رغبة الشاعرة في التّخلص من المصير المحتوم، ومن كل ما يحدُّ من حريتها، فبتمردها تضعف سلطة الذّكورة/ الأب، ويتحرر الجسد، معلنا استقلاله، تقول مسعودة لعريط:

اِحْتَرَقُ بِرَوْعَةٍ فِي هَذِهِ الْمَسَافَةِ
جَسَدِي يَشْتَهِي الْفَرَاغَ
وَذِرَاعِي لَا تُحْبُّ دِفْءَ مِعْطَفٍ قَدِيمٍ،
لَا يَكُفُّ عَنْ مُؤَازَرَتِي بِالْوِصَايَةِ
قَلَّتُ لَكَ:
أَنْتَ لَسْتَ أَبِيْ
أَنْتَ بَعْضُ الْمَاءِ
والانشطارِ... " [27].

تعبّر الشاعرة عن تمردها بجسدها، وبه تتخذ مواقفها صوب أبيها، مشكّلة وعيًا خاصًا بها فجسدها يشتهي الفراغ، وذراعها لا تحب دفء معطف قديم، تردُّ على أبيها بقولها: "أنت لست أبي، أَنْتَ بَعْضُ الْمَاءِ ،والانشطار..."، فهذه العبارات تفجّر الكثير من الدلالات، وتكشف رغبة قوية في التّمرد على سلطة الأب والاعراف.

4. الجسد الحرية:

لا تكتفي الذات الشاعرة للتدليل على الجسد في حدود لفظة الجسد، بل تعمل "على تناقل قاموس متعدد الاستبدالات؛ لحضور الجسد، إذ نجده في مجموعة من القصائد، تعمل على تنشيط حضور الجسد من خلال تمظهراته الحية التي تعبر عن فاعليته في الحياة والوجود وفي علاقته مع الآخر"[28]، ومثيل ذلك: (القلب، الروح، الوجه، النبض، الأضلع، الصدر، الرئة، الروح، الأهداب....)، وهكذا نجد هذا الأخير،يتمثّل في الشّعر النسوي الجزائري، من خلال التّعبير عن الحب؛ " كانتشار لا محدود في الزمن، والمكان، يؤدي إلى انصهار المحبوبين في بعضهما البعض، وهما معاني الكون تحقيقا لوحدة الحب والوجود" [29]، تقول نادية نواصر:

آهٍ لَوِ اِعْتَقِلَكَ!
لِتُثْبِت إِدَانَتِي بِتَحْوِيلِكَ جُرْمًا مِنْ أَجْرَامِ قَلْبِي...
آهٍ لَوِ اِعْتَقِلَكَ إِلَى الْأَبَدِ..
فَأَنَا اِمْرَأَةُ تَسْكنُنِي شَهْوَةُ الْاِعْتِقَالِ
وَلْيُعْتِقُنَا زَمَنُ الْعِشْقِ كَيْفَمَا شَاءَ
نَتَوَحَّدُ مَعًا فِي سَفَرِ الرَّوْحِ...
نُلَمْلِمُ كَلَامَنَا..
نَجْمَعُ كُلَانَا..
وَمَا تَبَقَّى مِنْ أَشْلَاءِ الْعُمَرِ..

مِنْ أَشْلَاءِ الْجَسَدِ..
مِنْ شَظَايَا الذَّاكِرَةِ.." [30]

ترسمالشاعرة صورة واضحة لرجل تحبه، تستحضر أشلاء الجسد وشظايا الذاكرة، وقد استلهمتها من لغة الجسد، التي بعثت فيها فيض المشاعر، فهي تتألم، وتتوجع؛ بسبب عدم اعتقالها لحبيبها، حيث تقدم تفسيرا منطقيا، كي تقنع المتلقي من خلال توظيفها للدال (لـ)، لتجيب عن السؤال (لماذا)، لماذا تريد أنْ تعتقل حبيبها؟ ليثبت إدانتها، وفي لحظة بوح عن مكنوناتها،ومكبوتاتها، تعترِف بأن شهوة الأسْرِ تسكُنها وزمن العشق يحرّرهما، ترغب في التّوحد معه، وتجمع ما تبقى من أشلاء العمر/ الجسد/ شظايا الذاكرة.

وفي هذا السياق، تُعبِّر الشاعرة بكل حرية عن شوقها للحبيب، الذي طال انتظاره، نقرأ لها :

أَنَا اِنْتَظَرْتُكَ يَا مَهْرَةَ الرَّوْحِ
فِي بَابِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ
وَكُنْتُ أُعَدُّ لَكَ نَخْلَةَ الْقَلْبِ
مِنْهَا تَدَلَّتْ عَرَاجِينُ تَمْرِي وَشَوْقِي
أَفْرشُ أَعْشَابَ صَدْرِي
كَيْ يَعْبر الصُّبْحُ مُتَّشِحًا بالمَعَانِي الْجَمِيلَةِ
وَيَنْجُو عِشْقِي
مِنْ رِيحِ هَذِهِ الدُّرُوبِ الظَّلِيلَةِ" [31].

من حُبِّ المحبوب صنعت "نادية نواصر" شعرها، تبوح بخطاب وجداني رومانسي، مشحون بعاطفة جياشة، وأحاسيس فياضة لحبيبها. تعدّ له نخلة /القلب، التي تأخذ رمزية التّصدي وقوة الصبر، وطول الانتظار منها تدلت عراجين التّمر / الشوق، كما تفرش له أعشاب صدرها / حبها / أملها؛ كي يعبر الصبح متشحًا بالمعاني الجميلة، وينجو عشقها من ريح دروب ظليلة.

رسمت الشاعرة صورا مشهديه، احتوت على أجزاء من الجسد (القلب، الروح، الصدر)؛ لتمثيل تعالقها وترابطها بالحب /المتعة /الشّوق، الذي هو أحد شرايين الحياة.

الخاتمة:

في نهاية هذه الدراسة نؤكد على جملة من النتائج تُجمل فيما يلي:

- تمظهر الجسدفي الخطاب الشعري النسويالجزائري، بأشكالوأنماطمختلفةأبرزها:الذات، الوطن، التمرد، الحرية.

- تمّ توظيف الجسد كتيمة في الخطاب الشعري النسوي؛ للكشف عن الذات الأنثوية، ولتحقيق حضورها، وكينونتها، ولتجسيد ملامحها؛ بتمثيلها الجسدي داخل المتخيل الشعري، وفق نظرة أُنثويةتحاول التغلب على القهر ، والإذلال، وإزاحة حالة اللامبالاة والتهميش.
- استخدمت الأنثى الجسد كسلاح لاجتياز عالمها الرّاهن، ولمواجهة المجتمع الذكوري السّلطوي، بلغة أنثوّية صادرة من عوالم ذاتيّة، تكشف عن ما يراودها من أسرار، وما يُلاحقها من تصورات، مُثْبتة وجودها ومُحققة قدرتها على التغيير، محولة الجسد عبرتمثيلات إنسانية وثقافية إلى قيم الحب، والوطن، والإنسان.
- كتابة الأنثى بجسدها/ عن جسدها، مغامرة غير معهودة، تمثل خرقا للمجهول، وتصديا للممنوع، إذْ

لم تلقَ بعد، ما تستحق من الدّرس والبحث.

هوامش وإحالات المقال

1 - سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، اللاذقية، ط3، 2012،ص191.

2 - عز العرب حكيم بناني، الجسم والجسد والهوية الذاتية، مجلة عالم الفكر، المجلد 37، العدد 4،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2009 ، ص113.

3 - مازن مرسول محمد، حفرات في الجسد المقموع، مقاربة سوسيولوجية ثقافية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2015، ص 36- 37.

4- فريد الزاهي، الجسد والصورة والمقدس في الإسلام، إفريقيا الشرق، المغرب، د ط، 1999 ،ص 32.

5- المرجعنفسه، ص 32.

6 - سمية بيدوح، فلسفة الجسد، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، 2006، د ط، ص6.

7 - وهيبة بوربعين، الدلالات الرمزية للجسد الأنثوي: بين الدين والأنثروبولوجيا، مجلة انثروبولوجيا الأديان، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، العدد2، المجلد 16، 2020ص 372.

8 - داقيدلوبروتون، أنثروبولوجيا الجسد والحداثة، ترجمة : محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1997، ص21.

9 - علاوة كوسة، رمزية الجسد في رواية "الكرسي الهزاز" لآمال مختار، مجلة المعيار، المركز الجامعي تيسمسيلت، الجزائر، العدد1، المجلد،9 2018 ،ص115.

10- عبد الله الغذامي، المرأة واللغة، المركز القافي العربي، ج2، بيروت، ط1، 1989، ص 70.

11 - الأخضر بن السايح، الرواية النسائية المغاربية والكتابة بشروط الجسد، مجلة الخطاب، جامعة مولود معمري تيزي وزو، العدد 4، المجلد 4، 2009،ص 72.

12 - نادية هنداوي، الجسدنة بين المحو والخط (الذكورية/الأنثوية) مقاربة في النقد الثقافي، دار الرافدين، لبنان بيروت، ط1، 2016، ص 101.

13- مسعودة لعريط، المعروفة بـ"غيوم"، أديبة جزائرية، جمعت بين الإبداع، والنقد، والبحث العلمي،متحصلة على شهادة دكتوراه في الأدب العربي الحديث، أستاذة محاضرة بجامعة تيزي وزو، اشتغلت في مجالات كثيرة منها: أدب الطفل، الأدب النسائي، الرواية المغاربية،الدراسات الشعرية، والمسرحية، لها عدة أعمال منها: ديوان "مرايا الجسد".

14 - مسعودة لعريط، مرايا الجسد، دار هومة، الجزائر، ط1، 2004، ص 5 – 6.

15- أحمد الزغبي وآخرون، الكتابة والمتخيل - المهجرية الجديدة - الأدب النسوي ، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1999، ص24

16 - يوسف حامد جابر، البناء الدرامي في شعر بلند الحيدري، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سوريا، المجلد 34، العدد 3، 2012 ، ص 27

17- حليمة قطاي، أديبة شاعرة جزائرية الجزائر، متحصلة على شهادة دكتوراه في النقد العربي، أستاذة محاضرة في جامعة باتنة، ورئيسة قسم اللغة العربية لملحقة بريكة، حازت على جائزة الشّعر علي معاشي لرئيس الجمهورية 2010، وجائزة الشعر النسوي. لها عدة أعمال منها: ديوان "حين تنزلق المعارج... إلى فيها" .

18 - حليمة قطاي، حين تنزلق المعارج إلى فيها، موفم للنشر، الجزائر، د ط ، 2015، ص 73- 74

19 - مسعودة لعريط، مرايا الجسد، مرجع سابق، ص 29 - 30

20 - شريف عبد الرحمن سيف النصر، (2015/05/06)، الوطن والجسدhttps://al-sharq.com.

21 - نادية نواصر، زمن بلا ذاكرة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2007، ص 49.

22 - نادية نواصر، صدى الموال، موفم للنشر، الجزائر، ط1، 2013،ص 40،41.

23 - المرجع نفسه، ص 48-49.

24 - مسعودة لعريط، مرايا الجسد، مرجع سابق، ص 85.

25 - ليلى محمد بلخير، خطاب المؤنث في الرواية الجزائرية، حسين راس الجبل للنشر والتوزيع، قسنطينة الجزائر، د ط، 2016، ص 277.

26 - نادية نواصر، زمن بلا ذاكرة، مرجع سابق، ص 28 -29 .

27 - مسعودة لعريط، مرايا الجسد، مرجع سابق، ص 49.

28 - أحمد الزغبي وآخرون، الكتابة والمتخيل- المهجرية الجديدة - الأدب النسوي، مرجع سابق، ص 25.

29 - المرجع نفسه، ص 25.

30 - نادية نواصر، صهوات الريح، المكتبة الوطنية الجزائرية، الحامة، الجزائر، ط1، 2005،ص 89.

31 - نادية نواصر، امرأة المسافات، اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط1، 2003، ص 43.

قائمة المصادروالمراجع:

1. نادية هنداوي، الجسدنة بين المحو والخط (الذكورية/الأنثوية) مقاربة في النقد الثقافي، دار الرافدين، لبنان بيروت، ط1، 2016.
2. عز العرب حكيم بناني، الجسم والجسد والهوية الذاتية، مجلة عالم الفكر، المجلد 37، العدد 4،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2009.
3. سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، اللاذقية، ط3، 2012.
4. سمية بيدوح، فلسفة الجسد، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، 2006، د ط.
5. مازن مرسول محمد، حفرات في الجسد المقموع، مقاربة سوسيولوجية ثقافية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2015.
6. فريد الزاهي، الجسد والصورة والمقدس في الإسلام، إفريقيا الشرق، المغرب، د ط، 1999 .
7. وهيبة بوربعين، الدلالات الرمزية للجسد الأنثوي: بين الدين والأنثروبولوجيا، مجلة انثروبولوجيا الأديان، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، العدد2، المجلد 16، 2020.
8. داقيدلوبروتون، أنثروبولوجيا الجسد والحداثة، ترجمة : محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1997.
9. عبد الله محمد الغذامي، المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 3، 2006.
10. علاوة كوسة، رمزية الجسد في رواية "الكرسي الهزاز" لآمال مختار، مجلة المعيار، المركز الجامعي تيسمسيلت، الجزائر، العدد1، المجلد،9 2018.
11. الأخضر بن السايح، الرواية النسائية المغاربية والكتابة بشروط الجسد، مجلة الخطاب، جامعة مولود معمري تيزي وزو، العدد 4، المجلد 4، 2009.
12. غيوم مسعودة لعريط، مرايا الجسد، دار هومة، الجزائر، ط1، 2004.
13. أحمد الزغبي وآخرون، الكتابة والمتخيل - المهجرية الجديدة - الأدب النسوي ، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1999.
14. يوسف حامد جابر، البناء الدرامي في شعر بلند الحيدري، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سوريا، المجلد 34، العدد 3، 2012 .
15. حليمة قطاي، حين تنزلق العارج إلى فيها، موفم للنشر، الجزائر، د ط ، 2015.
16. شريف عبد الرحمن سيف النصر، (2015/05/06)، الوطن والجسدhttps://al-sharq.com.
17. نادية نواصر، زمن بلا ذاكرة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2007.

18. نادية نواصر، صدى الموال، موفم للنشر، الجزائر، ط1، 2013.
19. ليلى محمد بلخير، خطاب المؤنث في الرواية الجزائرية، حسين راس الجبل للنشر والتوزيع، قسنطينة الجزائر، د ط، 2016.
20. نادية نواصر، صهوات الريح، المكتبة الوطنية الجزائرية، الحامة، الجزائر، ط1، 2005.
21. نادية نواصر، امرأة المسافات، اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط1، 2003.